

## الفكر التربوي عند الشيخ محمد البشير الإبراهيمي

دراسة تحليلية في ضوء رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين"

A Content Analysis of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi's: Educational Thought as Shown in his Work Titled "A Guide to Teachers"

د. محمد جبر السيد عبد الله جميل

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية، فرع القاهرة (مصر)

تاريخ القبول: 2020/03/05

تاريخ الإرسال: 2020/02/18

### ملخص:

استهدفت الدراسة تجلية الأفكار التربوية للشيخ محمد البشير الإبراهيمي في ضوء رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين". واستندت الدراسة إلى المنهج التحليلي. وتمثلت أداة الدراسة في مسح الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة. وتوصلت الدراسة للعديد من النتائج أهمها: أنَّ الإبراهيمي يرى ضرورة التركيز على الأهداف الإيمانية والخلقية للتربية مقارنة بغيرها من الأهداف لبناء الإنسان المسلم بناءً سليماً- أنَّ الإبراهيمي يرى ضرورة التركيز على الموضوعات المتصلة بالجانين الإيماني والخلقي في المحتوى التعليمي - أنَّ الإبراهيمي يرى ضرورة التركيز على طريقتي الترغيب والقدوة في التربية - أنَّ الإبراهيمي يرى ضرورة ربط الأسرة بالمدرسة بما يعزز ويكمل دور كل منهما في تربية الأبناء تربية إسلامية. وأوصت الدراسة بضرورة التركيز على الأهداف، والموضوعات ذات الصبغة الإيمانية والخلقية، وتوجيه مزيد من الاهتمام إلى طريقتي الترغيب والقدوة والعمل على ربط الأسرة بالمدرسة.

**الكلمات المفتاحية:** الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الفكر التربوي، مرشد المعلمين.

**Abstract:**

The study aimed at analyzing the educational thoughts of Sheikh Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi's as shown in his work titled "A Guide to Teachers". The study used the content analysis methodology to investigate the targets in question. To gather the required data, a review of literature was administered. The study came to the conclusion that according Al-Ibrahimi's view; first, the religious and ethical aims and content ought to be brought to the fore; second, the incentives and role-model approaches should be highlighted; third, there should be a coupling of families and schools. The study recommended that educational systems ought to accentuate the religious and ethical aims and content as well as the incentives and role-model approaches. In addition, they ought to pay more attention to the coupling of families and schools.

**Keywords:** Muhammad Al-Bashir Al-Ibrahimi's, Educational Thought, A Guide to Teachers.

**مقدمة**

يعدّ محمد البشير الإبراهيمي علما من أعلام الأمة الأبرار الذين نذروا حياتهم لخدمة الأمة، والإسهام في نهضتها. ولم تقتصر جهود الشيخ الإصلاحية على جانب دون جانب وإنما اشتملت على جوانب عديدة دينية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية. ومما اشتملت عليه هذه الجهود أيضا الجانب التربوي. إلا أن الملاحظ أن هذا الجانب لم يلق العناية الكافية من الدرس والتحليل. لذا تسعى الدراسة الحالية لإبراز هذا الجانب المهم والحيوي من إسهامات العلامة. وذلك بتسليط الضوء على أفكاره التربوية من واقع بعض كتاباته في المجال التربوي متمثلة في رسالته التي وجهها للمعلمين تحت عنوان: "مرشد المعلمين"<sup>(1)</sup>.

**● مشكلة الدراسة**

تتلخص مشكلة الدراسة في التساؤل الرئيس الآتي:

- ما الأفكار التربوية التي يتبناها محمد البشير الإبراهيمي في رسالته الموسومة

بـ "مرشد المعلمين"؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

- 1- ما تصور محمد البشير الإبراهيمي للطبيعة الإنسانية كما يتبدى في "مرشد المعلمين"؟
- 2- ما الأهداف التي ينبغي أن تسعى إليها التربية لتحقيقها كما يتصورها الإبراهيمي؟
- 3- ما المحتوى التعليمي الذي ينبغي تدريسه وفق ما أطرته الرسالة؟
- 4- ما الطرائق التربوية التي ينبغي اتباعها من وجهة نظر محمد البشير الإبراهيمي من خلال إرشاده للمعلمين؟
- 5- ما دور الأسرة في العملية التربوية كما يراه البشير الإبراهيمي في "مرشد المعلمين"؟

### • أهداف الدراسة

تحدد أهداف الدراسة في ضوء التساؤلات السابقة المشتغلة على "مرشد المعلمين" كالاتي:

- 1- تجلية تصور محمد البشير الإبراهيمي للطبيعة الإنسانية.
- 2- إبراز الأهداف التي ينبغي أن تسعى إليها التربية لتحقيقها كما يتصورها العلامة.
- 3- بيان المحتوى التعليمي الذي ينبغي تدريسه كما يراه الإبراهيمي.
- 4- بيان الوسائل التربوية التي ينبغي اتباعها من وجهة نظر محمد البشير الإبراهيمي.
- 5- بيان دور الأسرة في العملية التربوية كما يراه الإبراهيمي.

### • أهمية الدراسة

تتمثل أهمية الدراسة في جانبين هما:

**الجانب الأول (الأهمية النظرية):** تتجلى الأهمية النظرية للدراسة في أنها تحاول استكمال الجهود العلمية التي انصبت على تناول الآراء التربوية لمحمد البشير الإبراهيمي بالعرض والتحليل، وذلك في محاولة لإثراء ما كتب في هذا الخصوص.

**الجانب الثاني: الأهمية التطبيقية:** تتجلى الأهمية التطبيقية للدراسة في أنها تسهم في تبصير أفراد الأمة بالجهود التربوية لمحمد البشير الإبراهيمي، والإفادة من هذه الجهود في تطوير العملية التعليمية للوصول بها إلى الأهداف المرسومة.

### • منهج الدراسة

تستند الدراسة إلى المنهج الوصفي، وتستند في إطار ذلك على أسلوب تحليل المضمون حيث يجري تحليل المضمون التربوي في رسالة الإبراهيمي الموسومة بـ "مرشد المعلمين".

### • إجراءات الدراسة

تحدد إجراءات الدراسة في الآتي:

- جمع المادة العلمية المتعلقة بموضوع الدراسة.
- عزو الآيات القرآنية
- تخرّيج الأحاديث النبوية والآثار الواردة في الدراسة.
- توثيق النقول من أقوال العلماء من مصادرها الأصلية وإلا فعزوها إلى المصادر الثانوية إن تعدّر ذلك.
- توضيح الألفاظ المبهمة.
- إلحاق فهرس للمراجع.

### • حدود الدراسة

تتمثل الحدود الموضوعية للدراسة الحالية في أنها تقتصر على مسألة الأفكار التربوية التي تنطوي عليها رسالة العلامة محمد البشير الإبراهيمي الموسومة بـ "مرشد المعلمين".

### • خطة الدراسة

تتألف الدراسة من مقدمة، وخمسة مطالب، وخاتمة، وفهرس كالآتي:

المقدمة: تتناول مشكلة الدراسة، وأهداف الدراسة، وأهمية الدراسة، ومنهج الدراسة وإجراءات الدراسة، وحدود الدراسة، وخطة الدراسة.

المطلب الأول: يتناول تجلية لتصور محمد البشير الإبراهيمي للطبيعة الإنسانية كما يتبدّى في رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين".

**المطلب الثاني:** يتناول بيانا للأهداف التي ينبغي أن تسعى إليها التربية لتحقيقها كما يتصورها البشير الإبراهيمي في ضوء رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين".

**المطلب الثالث:** يتناول بيانا للمحتوي التعليمي الذي ينبغي تدريسه كما يراه محمد البشير الإبراهيمي في ضوء رسالته.

**المطلب الرابع:** يتناول بيانا للوسائل التربوية التي ينبغي اتباعها من وجهة نظر محمد البشير الإبراهيمي من خلال إرشاده للمعلمين.

**المطلب الخامس:** يتناول بيانا لدور الأسرة في العملية التربوية مثلما تبدت في رسالة العلامة "مرشد المعلمين".

**الخاتمة:** تتناول نتائج الدراسة، وتوصياتها.

**الفهرس:** يتضمن قائمة بالمراجع التي استندت إليها الدراسة.

ويجري تفصيل ذلك على النحو الآتي:

### **المطلب الأول: تصوّر محمد البشير الإبراهيمي للطبيعة الإنسانية.**

يرى محمد البشير الإبراهيمي أنّ الإنسان يولد كصفحة بيضاء؛ أي: بلا أية أفكار مسبقة فطرية أو موروثية، ويجري اكتساب أفكاره ومعتقداته من احتكاكه بالعالم الخارجي. يؤكد ذلك في خطابه للعلمين بقوله: "إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك رعاياها أطفال الأمة... إنهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم، سلّمتمهم إليكم أطفالا، لتردوهم إليها رجالا، وقدّمتمهم إليكم هياكل لتنفخوا فيها الروح، وألفاظا لتعمروها بالمعاني، وأوعية لتملأوها بالفضيلة والمعرفة"<sup>(2)</sup>.

والإبراهيمي يعكس بذلك التصور الإسلامي للطبيعة البشرية. فوفقا للتصور الإسلامي، فإنّ "المولود البشري يولد على الفطرة؛ أي: على الجبلة أو التكوين المودع في جنسه، وولادته تكون صافية خالية من أي اكتساب خلقا، وطبعاً، وهيئة، ليس فيها إيمان ولا كفر، ولا إنكار ولا معرفة"<sup>(3)</sup>. ويدلّ على ذلك قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَهْرَجَكُمْ مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(4)</sup>. يقول "ابن كثير" في

تفسيره لهذه الآية: "ذكر تعالى مِثَّة على عباده في إخراجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئا، ثم بعد هذا يرزقهم السمع الذي به يدركون الأصوات، والأبصار التي بها يُحسُّون المرئيات، والأفئدة وهي العقول... والعقلُ به يميز بين الأشياء ضارًّا ونافعيًّا، وهذه القوى تحصلُ للإنسان على التدريج قليلا قليلا، كلما كَبُرَ زيد في سمعه وبصره وعقله حتى يبلغ أشدَّهُ. وإنما جعل تعالى هذه في الإنسان ليتمكن بها من عبادة ربه تعالى، فيستعين بكل جارحةٍ وعضوٍ وقوةٍ على طاعة مولاه"<sup>(5)</sup>.

ويستكمل الإبراهيمي تصوره عن الطبيعة البشرية فيقرّر بأنَّ الإنسان يولد ولديه غرائز ناقصة إذا لم تتناولها التربية الرشيدة بالتهذيب والتشذيب، فإنَّ ذلك يؤدي إلى تفاقمها ويقوي نزعة الشر الكامنة فيه. فيقول رحمه الله: "إنَّ الأطفال مفلطرون على غرائز ناقصة يزيدوا الإهمال وفقدان التربية الصالحة نقضا وشناعة، وتعالجها التربية الحكيمة كما تعالج الأمراض ... فضعوا أيديكم على تلك النقائص وتعمدوها بالإصلاح والتقويم، أو بالتشذيب والتعديل. فمن النقائص اللازمة للصغار: الخوف والغضب والحسد وسرعة التأثر والانفعال وسرعة التصديق بكل شيء وإفشاء كلِّ ما تسمعه آذانهم وتراه أعينهم. أمَّا الخوف فمنشؤه أوهام تحوكمها الأم الجاهلة لصغيرها منذ الرضاعة تستعين بها على إسكات الطفل أو تسكين حدّته ... فاجتثوا هذا الغرس الخبيث"<sup>(6)</sup>.

وما ذهب إليه الإبراهيمي من انطواء الطبيعة البشرية على غرائز ناقصة يدلُّ عليه قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا \* إِذَا نَسَّ الشَّرَّ جَزُوعًا \* وَإِذَا نَسَّ الْبِرَّ نَسْوًا \* الْغَيْرُ مَنُوعًا﴾<sup>(7)</sup>؛ يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: "يقول تعالى مُخْبِرًا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خَلِيقٌ هَلُوعًا﴾"<sup>(8)</sup>؛ أي: "الذي إذا ناله الشرُّ أظهر شدة الجُرْع، وإذا ناله الخيرُ بَجَلَ به وَمَنَعَهُ الناس"<sup>(9)</sup>. وهذه الغرائز الناقصة المتمثلة في الهلع والخوف، وغيرها كالأناجية، والطمع، والحسد<sup>(10)</sup> ليست ثابتة، وإنما هي قابلة للتغيير. فإذا ما تناولتها التربية الإيمانية، هذبتها، ونحت بها نحو ما فيه صلاح الإنسان في الدارين. ولذا استثنى الله تعالى المصلين من برائن هذه الطبيعة بقوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ \* الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ واثِقُونَ﴾<sup>(11)</sup>. قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾؛ قال النَّحَّعي: المراد

بالمصلين الذين يؤدون الصلاة المكتوبة ... فإنهم يَغْلِبُونَ فَرَطَ الْجَزَعِ بثقتهم برهم ويقينهم<sup>(12)</sup>. والمعنى: "أنهم ليسوا على تلك الصفات من الهَلَعِ وَالْجَزَعِ والمنع، وأنهم على صفات محمودة وخالل مرضية لأن إيمانهم وما تمسكوا به من التوحيد ودين الحق يزرهم عن الاتصاف بتلك الصفات، ويحملهم على الاتصاف بصفات الخير"<sup>(13)</sup>.

ولا ينبغي أن يفهم من كلام الإبراهيمي عن تلك الغرائز الناقصة، أنه يرمي إلى القول بأنّ الإنسان شرير بطبعه. بل ما أراده هو أن يلفت نظر المرين إلى أن هذا الجانب بحاجة إلى مزيد من الاعتناء فحسب. فقد اقتضت مشيئة الله تعالى أن يولد الإنسان ولديه استعداد للخير واستعداد للشر. فالله تعالى خلق الإنسان مزودا بقدرات تجعله قادرا على القيام بعمل الخير وعمل الشر على السواء<sup>(14)</sup>. وإذا تُرك الإنسان لشأنه، فإنه يكون أكثر ميلا لأن يستجيب لدوافعه الشريرة وغرائزه الناقصة، وأن يخالف الفطرة السوية، ويهبط عنها<sup>(15)</sup>. قال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿١﴾ وَلسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٢﴾ وَهَرِينًا نَجْرَيْنِ ﴿٣﴾﴾<sup>(16)</sup>؛ "يعني الطريقين: طريق الخير وطريق الشر. أي: بيناهما له"<sup>(17)</sup>. وقال تعالى في ﴿نَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿١﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٢﴾﴾<sup>(18)</sup>. قال القرطبي: "قال الفراء: (فألهمها)؛ قال: عرفها طريق الخير وطريق الشر"<sup>(19)</sup>.

ووفقا لهذه النظرة إلى الطبيعة الإنسانية، فإنه ينبغي ألا يُنظر إلى المتعلم باعتباره خيرا بطبعه؛ فنتهاون في تربيته، ولا باعتباره شريرا بطبعه؛ فنأخذه بأسباب العسف والقهر، وإنما ينبغي أن ينظر إليه باعتباره مجبولا على الخير والشر معا كي تتوازن عملية التربية بين اللين وبين الحزم؛ بين لين من غير ضعف، وبين حزم من غير عنف.

وفي ضوء هذه النظرة الإبراهيمية إلى الطبيعة الإنسانية، تنبثق أهداف التربية، ومحتواها ووسائلها كما تنبثق الجذور والأغصان والأوراق من البذرة التي تودع في باطن الأرض.

### المطلب الثاني: الأهداف التي ينبغي أن تسعى إليها التربية لتحقيقها

تعد الأهداف التربوية العنصر الأول من عناصر المنهج التعليمي. وتُعرّف الأهداف التربوية بأنها الغايات التي توضع للمناهج، والبرامج، والكتب الدراسية المختلفة<sup>(20)</sup>. وبعبارة أخرى، فإنها تلك: "المخرجات (النواتج) التي يسعى المنهج إلى تحقيقها ... أي ما يجب أن يكون عليه التلميذ بعد انتهائه من مرحلة تعليمية معينة أو مروره بموقف تعليمي معين"<sup>(21)</sup>.

والأهداف التربوية الجيدة ينبغي أن تكون متفقة مع الطبيعة الإنسانية، مراعية لحاجاتها كما ينبغي أن تكون شاملة متكاملة؛ فلا تقتصر على جانب وتغفل غيره من الجوانب<sup>(22)</sup>.

ويرى محمد البشير الإبراهيمي أنّ الأهداف التربوية يجب أن تكون متحاوية مع طبيعة الإنسان، كما ينبغي أن تشمل على الأهداف الإيمانية والخلقية كما تشمل على الأهداف العلمية، بل ويجب تقديم الأولى على الأخيرة. فيخاطب - رحمه الله - المعلمين قائلاً: "اجتثوا هذا العرس الخبيث [أي: الغرائز الناقصة] من نفوسهم [أي: من نفوس الأطفال] بتقوية الإرادة فيهم وتنمية الحقائق في أذهانهم ... ربّوهم على الفضائل ... وقدموها على العلم. إن الأخلاق العالية هي الأصل، وإنّ العلم لا يغني عنها ... ربّوهم على الرجولة ويُعدّ الهمة، وعلى الشجاعة والصبر، وعلى الإنصاف والإيثار، وعلى البساطة واليسر وعلى العفة والأمانة، وعلى المروءة والوفاء، وعلى الاستقلال والاعتداد بالنفس، وعلى العزة والكرامة، وعلى التحابب والتسامح، وعلى حب الدين والعلم والوطن والوالدين والمعلم"<sup>(23)</sup> "أفهمهم من الصغر معنى الأسرة وروابطها وواجباتها، وتدرجوا بهم من معنى الأسرة إلى معنى الأمة، وأشربوا قلوبهم أنهم فروع من دَوْحة"<sup>(24)</sup> واحدة ذات خصائص طبيعية ليحافظوا عليها"<sup>(25)</sup>.

وهذه الأهداف التي حدّدها الإبراهيمي تتسق مع تصوره للطبيعة الإنسانية؛ فهي منبثقة عنها، وترجمة لها. فالشيخ يلفت الانتباه إلى الغرائز الناقصة التي تكاد تطمس الطبيعة البشرية وتُهبط بها عما هو منشود. ومن ثم جاءت هذه الأهداف التي رسمها لتلتف حول هذا الجانب. فكانت الصدارة للأهداف الإيمانية والخلقية استناداً إلى كونها المنوط بها الإحاطة بهذا الجانب المظلم.

وتقديم الأهداف الإيمانية والخلقية على ما سواها هو ما يستقيم مع التصور الإسلامي للأهداف التربوية. فتسمية الجانب الإيماني والخلقي يحتل الصدارة وفقا لهذا التصور. ويدل على ذلك قول الله تعالى حاكيا عن لقمان الحكيم: ﴿وإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعِطُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(26)</sup> إلى قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَتِمِّمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ ولا تصعّر حرك للناس ولا تمش في الأرض مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿ وَأَقْبِرْ فِي سُجُودِكَ وَالْخُضُوعِ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْفَرِ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾<sup>(27)</sup>. قال القرطبي في تفسيره لهذه الآيات: قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ "أي: قال لقمان لابنه لا تشرك بالله... قوله تعالى: ﴿يَا بُنَيَّ أَتِمِّمِ الصَّلَاةَ﴾ وَصَّى ابْنَهُ بِعِظَمِ الطَّاعَاتِ وَهِيَ الصَّلَاةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَرِيدُ بِهِ بَعْدَ أَنْ يُمَثِّلَ ذَلِكَ هُوَ فِي نَفْسِهِ وَيَزْدَجِرُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهَذَا هِيَ الطَّاعَاتُ وَالْفَضَائِلُ أَجْمَعُ ... قوله تعالى: ﴿وَلَا تَصْعَرْ حَرْكٌ لِلنَّاسِ﴾؛ معنى الآية: وَلَا تُثْمِلْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ كَثِيرًا عَلَيْهِمْ وَإِعْجَابًا وَاحْتِقَارًا لَهُمْ ... قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أي: متبخترا متكبيرا ... قوله تعالى: ﴿أَقْبِرْ فِي سُجُودِكَ﴾ أي: توسط فيه ... قوله تعالى: ﴿وَالْخُضُوعِ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي: انقص منه؛ أي: لا تتكلف رفع الصوت، وخذ منه ما تحتاج إليه ... في الآية دليل على ... قبح رفع الصوت في المخاطبة"<sup>(28)</sup>. فلقمان [عليه السلام] جعل حل اهتمامه - في تربيته لولده - ينصب على غرس العقيدة الصحيحة والحث على أداء العبادات وتمية الفضائل، وتقديم ذلك على ما سواه. كما يدل على ذلك حديث رسول الله ﷺ، حيث قال: ((عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ))<sup>(29)</sup>. فالحديث يدل دلالة صريحة على وجوب تعليم الأبوين الأبناء الصلاة قبل البلوغ؛ أي: في مرحلة الطفولة وإلا أمثوا إذا ما قصروا في ذلك<sup>(30)</sup>. وفي ذلك إشارة إلى أولوية تعليم النشء تعاليم دينهم. ومن ذلك يتضح أنّ في هذه الأدلة وغيرها دلالة صريحة على وجوب الاعتناء بالتربية الإيمانية والتربية الخلقية وتقديمهما على غيرها.

وتقديم الأهداف الإيمانية والخلقية على الأهداف العلمية وما سواها تقدم له وجهته. فالبعد الإيماني هو البعد الحاكم لكل جوانب الشخصية بما فيها الجانب العلمي. فإذا ما

انطلق العلم بلا ضابط يضبطه، ولا رابط يحكم مسيرته، فإنه عادة ما يستحيل إلى معول للهدم لا أداة للبناء. ويدلّل على ذلك قوله تعالى حاكيا عن قارون: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ نَوْسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الذَّهَبِ مَا إِنَّ رَبَّكَ لَتَنزُوُّ بِهِ عَلَيْهِمُ الْغُصْبُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۗ﴾ (٣١). والشاهد من الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتَهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَنِّي ۗ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (٣٢). فالله تعالى قد أنعم على قارون بالعلم الذي كان مصدرا لقوته المادية.. إلا أنه بدلا من أن يتوجّه إلى الله بشكر هذه النعمة باستعمالها فيما هو في صالح البشر، اغتر بها وجحد فضل الله عليه، واستعملها في البغي والإفساد<sup>(32)</sup>.

وتوجيه الاعتناء إلى الجوانب الإيمانية والخلقية يتفق مع ما تدعو إليه الاتجاهات التربوية المعاصرة من ضرورة الربط بين العلم والقيم الإنسانية. "إذ لا يمكن انتزاع القيم الروحية والمعاني الأخلاقية من ميدان المعرفة الإنسانية"<sup>(33)</sup>. "فإنّ العلم القاصر عن المثل العليا يهبط إلى المادي الملموس والمسموع والمنظور مجردا من القيم الإنسانية، ويصبح سلعة تكنولوجية يمكن لأيّ شخص أن يشتريها لأيّ غرض، ويصبح العلماء مرتزقة يتكسبون بالعلم في أي مكان كما حدث للعلماء الألمان الذين عملوا للأهداف النازية، والشيوعية والأميريكية"<sup>(34)</sup>.

وهذه دعوة - من منظور إبراهيمي - للمؤسسات التربوية الحالية لتستفيق من غفوتها وتراجع عن نزوعها إلى الأهداف العلمية على حساب الأهداف الإيمانية والخلقية وذلك بأن تعيد الأمور إلى نصابها؛ فتصبّ جلّ اهتمامها على الأهداف الإيمانية والخلقية وأن تعطئها الأولوية كيما تعود الأمة إلى سابق عهدها من النهوض والازدهار والفلاح في الدنيا والآخرة.

### المطلب الثالث: المحتوى التعليمي الذي ينبغي تدريسه

يعدّ المحتوى التعليمي العنصر الثاني من عناصر المنهج التعليمي. والمحتوى التعليمي يقصد به: "مجموعة الحقائق، والمعايير، والقيم الإلهية الثابتة، والمعارف، والمهارات، والخبرات الإنسانية المتغيرة بتغير الزمان والمكان، وحاجات الناس التي يحتك المتعلم بها، ويتفاعل معها من أجل تحقيق الأهداف التربوية المنشودة فيها"<sup>(35)</sup>.

والمحتوى الجيد هو الذي ينبغي أن يكون محققاً للأهداف التربوية العامة، وينبغي أن يكون متوازناً بحيث يركز على الفضائل كما يركز على المعارف<sup>(36)</sup>. ويلفت الإبراهيمي نظر المرين إلى ذلك بقوله: "أي أبناي المعلمين: هناك أمم تقدمتكم في العلم والمعرفة والنظام.. لم يغن عنها فتيلاً مما تغني الأخلاق والفضائل... إنَّ العلم لم يمهّد عن الإفساد... بل ما زاد المتجردين من الفضيلة إلا ضرواً بالشر... فاجعلوا الفضيلة رأس مال نفوس تلامذتكم، واجعلوا العلم رباً"<sup>(37)</sup>. "رُؤهم على الفضائل - وأكرر القول وأعيدده - وقدّموها على العلم. إنَّ الأخلاق العالية هي الأصل، وإنَّ العلم لا يغني عنها، ولا يأتي بها، وكم رأينا من عالم يعظ الناس وينهاهم عن المنكر ثم يخالفهم إلى ما نهاهم عنه. وكم رأينا من طبيب يبين مضار الخمر للناس وهو يعاقرها. رُؤهم على الرجولة وبعدها الهمة، وعلى الشجاعة والصبر، وعلى الإنصاف والإيثار، وعلى البساطة واليسر، وعلى العفة والأمانة وعلى المروءة والوفاء، وعلى الاستقلال والاعتداد بالنفس، وعلى العزة والكرامة، وعلى التحابب والتسامح، وعلى حب الدين والعلم والوطن والوالدين والمعلم"<sup>(38)</sup>. "أفهمهم من الصغر معنى الأسرة وروابطها وواجباتها، وتدرجوا بهم من معنى الأسرة إلى معنى الأمة وأشربوا قلوبهم أنهم فروع من دُوحة واحدة ذات خصائص طبيعية ليحافظوا عليها"<sup>(39)</sup>.

يؤكد الإبراهيمي على ضرورة الاعتناء بالموضوعات المتصلة بالجانب الإيماني وبتنمية الفضائل في المحتوى التعليمي، بل وتقديمها على الموضوعات العلمية. وهذا ما يتفق مع الغاية التي تسعى إليها التربية الإسلامية. حيث تستهدف بناء الإنسان العابد الممثل لتعاليم دينه. فالله تعالى قد خلق الإنسان لعبادته. يقول تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾<sup>(40)</sup>. فاستلزم ذلك توجيه الهمة نحو الدين. يقول تعالى حاكياً عن نبينا إبراهيم

ونبينا يعقوب - عليهما السلام-: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٤١﴾. قال القرطبي: "﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ﴾؛ أي: بالملَّة ... فيكون إبراهيم قد وصَّىٰ بنيه، ثم وصَّىٰ بعدة يعقوب بنيه ... والمعنى الزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا" (42). ويقول تعالى حاكيا عن نبينا يعقوب عليه السلام: ﴿لَمَّا نَسَبْنَا شُهْرَاءَ إِذْ حضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُرُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُرُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهِنَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٣﴾. يقول الفخر الرازي في تفسير هذه الآية: "اعلم أنه تعالى لما حكى عن إبراهيم - عليه السلام - أنه بالغ في وصية بنيه في الدين والإسلام، ذكر عَقِيْبَهُ أن يعقوب - عليه السلام - وصَّىٰ بنيه بمثل ذلك" (44). و"الآية دالة على أن شفقة الأنبياء - عليهم السلام - على أولادهم كانت في باب الدين وهمتهم مصروفة إليه دون غيره" (45). ولما كانت الغاية مصروفة إلى الدين، توجب أن يلتفت المحتوى التعليمي حول تلك الغاية بل يتوجب تقديمها على غيرها استنادا إلى كونها الهدف الرئيس الذي ينبغي أن تسعى المؤسسات التربوية لتحقيقه، واستنادا إلى كونها العاصم للإنسان من الزلل والزيغ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿٤٦﴾.

فالمحتوى الذي يتفق مع الأهداف التربوية التي نشدها الإبراهيمي هو الذي يركز على المضمون الإيماني والخلقي. فهو قد دعا إلى تسليط المزيد من الضوء على الأهداف الإيمانية والخلقية مقارنة بالأهداف العلمية، واتساقا مع ذلك ينبغي أن يلبى المحتوى التعليمي ما تنادي به هذه الأهداف. واستجابة لذلك وجب أن تنال الموضوعات الإيمانية والخلقية اهتماما متعاضما - كما وكيفما - مقارنة بالموضوعات العلمية.

#### المطلب الرابع: الوسائل التربوية التي ينبغي اتباعها

تعد وسائل التربية العنصر الثالث من عناصر المنهج التعليمي. وتعرّف الوسيلة التربوية بأنها: "تلك الإجراءات والأفعال المرتبة التي يقوم بها المعلم بهدف تعليم الطلاب موضوع دراسي معين، أو جزء من موضوع دراسي، أو معلومة معينة سعيا من خلال ذلك إلى تحقيق أهداف تعليمية معينة" (47).

والوسيلة التربوية ذات أهمية قصوى في العملية التعليمية. "فإن المنهج الجيد من حيث أهدافه، ومحتواه، ومستواه، وتنظيمه لا يعني شيئا بدون تنفيذه بالطريقة والوسيلة والنشاط التعليمي المناسب"<sup>(48)</sup>.

وتتعدّد وسائل التربية ما بين التربية بالترغيب، والتربية بالقُدوة، والتربية بأسلوب النَّصّ وضرب المثل، والتربية بالعقوبة، وغيرها من الوسائل. وتتحدّد الوسيلة المناسبة وفقا لطبيعة مرحلة النمو التي يمر بها المتعلم، وظروف الموقف التعليمي.

ويرى محمد البشير الإبراهيمي أن من أنجع الوسائل التربوية لتحقيق الأهداف المنشودة في مرحلة الطفولة إنما تتمثل في أسلوبين هما:

#### الأسلوب الأول (أسلوب الترغيب):

الترغيب هو: "التشويق للحمل على فعل، أو اعتقاد، أو تصور، وترك خلافه"<sup>(49)</sup>. و"هو يقوم على وعد بتحقيق منفعة مقابل الالتزام بأداء أمر أو اجتناب نهي"<sup>(50)</sup>. ويشير الإبراهيمي إلى أهمية أسلوب الترغيب في تربية الأطفال في خطابه للمعلمين بقوله: "إنّ من الطباع اللازمة للأطفال أنهم يحبون من يتحبّب لهم ... فواجب المربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوسهم من أقرب طريق، وأن يصلح نزعاتهم بأيسر تكلفة ... هو أن يتحبّب إليهم، ويقابلهم بوجه مهلل، ويبادلهم التحية بأحسن منها، ويسألهم عن أحوالهم باهتمام، ويضاحكهم، ويجادثهم بلطف وبشاشة، ويسيطر لهم الآمال، ويظهر لهم من الحنان والعطف ما يحملهم على محبته، فإذا أحبوه أطاعوه وامتثلوا أمره، وإذا أطاعوا أمره وصل من توجيههم في الصالحات إلى ما يريد، وتمكن من حملهم على الاستقامة وطبعهم على الخير والفضيلة، فإذا ملك نفوسهم بهذه الطريقة - طريقة الترغيب - حبّب إليهم المدرسة والقراءة والعلم"<sup>(51)</sup>.

ويرجع اعتناء الإبراهيمي بأسلوب الترغيب لأهميته في التربية. "إذ الإنسان مفسطور على الإحساس باللذة ... وهو بذلك ميال إلى كلّ ما يحقّق له اللذة ... ولهذا العامل تأثير كبير في تربية الإنسان وتوجيه سلوكه"<sup>(52)</sup>. أضف إلى ذلك، أنّ الترغيب يثير في الإنسان

عامل الرجاء والأمل، وهذا بدوره يوجه السلوك الإنساني، وعلى قدر ما يرجوه الإنسان ونوع هذا الرجاء، يكون التأثير في هذا السلوك<sup>(53)</sup>.

ويعد أسلوب الترغيب أحد الأساليب التربوية التي يقوم عليها المنهج الإسلامي. فقد استخدم المنهج الإسلامي هذا الأسلوب في تحريك نزعة الخير لدى الإنسان وتمييزها بالترغيب فيما أعده الله تعالى لمن امتثل لأوامره وانتهى عما نهى عنه. يقول تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا<sup>(54)</sup> حَرَائِقَ وَأُحْنَابًا<sup>(55)</sup> وَكَوْابِحَ<sup>(56)</sup> أَتْرَابًا<sup>(56)</sup>﴾. ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِزًّا<sup>(57)</sup>﴾. "يقول تعالى مُخْبِرًا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم"<sup>(58)</sup> ترغيبًا للعباد لحثهم على طاعته تعالى، ونهيهم عن معصيته وفي ذلك دلالة صريحة على أن للترغيب أثره الكبير في التربية الصالحة، وغرس الفضائل.

### الأسلوب الثاني (أسلوب القدوة الحسنة):

يشكل أسلوب القدوة أهمية قصوى في العملية التربوية نظرا لعظم تأثيره على المتعلم وخصوصا في مرحلة الطفولة. ويشير محمد البشير الإبراهيمي إلى أهمية طريقة القدوة في التربية، فيقول: "إنَّ المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحا؛ لأنهم يأخذون منه بالقدوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين ... كونوا لتلاميذكم قدوة صالحة في الأعمال والأحوال والأقوال؛ لا يرون منكم إلا الصالح من الأعمال والأحوال، ولا يسمعون منكم إلا الصادق من الأقوال. وإنَّ الكذب في الأحوال أضر على صاحبه وعلى الأمة من الكذب في الأقوال ... وكم أهلك هذه الأمة المتظاهرون بالصالح، والمتظاهرون بالزعامة، والمتظاهرون بالإمامة"<sup>(59)</sup>.

واعتناء الإبراهيمي بأسلوب القدوة يرجع إلى أنَّ "القدوة في التربية هي من أنجع الوسائل المؤثرة في إعداد الولد خلقيا، وتكوينه نفسيا واجتماعيا. ذلك لأن المرابي هو المثل الأعلى في نظر الطفل، والأسوة الصالحة في عين الولد؛ يقلده سلوكيا، ويحاكيه خلقيا من حيث يشعر أو لا يشعر، بل تنطبع في نفسه وإحساسه صورته القولية، والحسية، والمعنوية من حيث يدري أو لا يدري. ومن هنا كانت القدوة عاملا كبيرا في صلاح الولد أو فساده. فإن كان المرابي صادقا أمينًا كريما عفيفا، نشأ الولد على الصدق والأمانة، والخلق

والكرم، والشجاعة، والعفة. وإن كان المرابي كاذبا حائنا متحللا بخيلا جبانا ندلا، نشأ الولد على الكذب، والخيانة، والتحلل، والجبن، والبخل، والندالة<sup>(60)</sup>.

"إنّ الولد مهما كان استعداده للخير عظيما، ومهما كانت فطرته نقية سليمة، فإنه لا يستجيب لمبادئ الخير، وأصول التربية الفاضلة ما لم ير المرابي في ذروة الأخلاق، وقمة القيم، والمثل العليا. ومن السهل على المرابي أن يلقن الولد منهجا من مناهج التربية، ولكن من الصعوبة بمكان أن يستجيب الولد لهذا المنهج حين يرى من يشرف على تربيته، ويقوم على توجيهه غير متحقق بهذا المنهج، وغير مُطبّق لأصوله ومبادئه"<sup>(61)</sup>.

وقد لفت الإسلام الأنظار إلى أهمية أسلوب القدوة في التربية. فقد استنكر القرآن الكريم الذين تخالف أفعالهم أقوالهم، ويشمل ذلك الآباء والأمهات والمربين كافة. وذلك في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾ كُذِّبَتْ مَثَلًا خَيْرًا لِّأَنَّ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٦٢﴾، وقوله تعالى: ﴿اتَّامُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ ثَلَاثُونَ ﴿٦٣﴾ الْقَاتِلِ تَقْتُلُونَ ﴿٦٣﴾. يقول الشوكاني في تفسيره: "وأشدُّ ما قرع الله في هذا الموضوع من يأمر بالخير ولا يفعلُه من العلماء الذين هم غير عاملين بالعلم، فاستنكر عليهم أولا أمرهم للناس بالبر مع نسيان أنفسهم في ذلك الأمر الذي قاموا به في الجامع ونادوا به في المجالس إيهاما للناس بأنهم مُبلِّغون عن الله ما تحمّلوه من حُججه، ومبيّنون لعباده ما أمرهم ببيانه وموصّلون إلى خَلقه ما استودعهم واثمّنهم عليه، وهم أتركُّ الناس لذلك، وأبعدهم من نفعه، وأزهدهم فيه"<sup>(64)</sup>.

وقد حرص النبي (ﷺ) على أن يظهر المرابي أمام من يقوم على تربيته بمظهر القدوة الصالحة في كل شيء حتى يتطبع الطفل - منذ نعومة أظفاره بالأخلاق الفاضلة. ويدل على ذلك الحديث الذي رواه أبو داود عن عبد الله بن عامر - رضي الله عنه - أنه قال: دَعَنِي أُمِّي يَوْمَا وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) قَاعِدٌ فِي بَيْتِنَا فَقَالَتْ: هَا تَعَالَى حَتَّى أُعْطِيكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "وَمَا أَرَدْتِ أَنْ تُعْطِيَهُ؟" قَالَ: أُعْطِيَهُ تَمْرًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): "أَمَا إِنَّكَ لَوْ لَمْ تُعْطِهِ شَيْئًا كُتِبَتْ عَلَيْكَ كِذْبَةٌ"<sup>(65)</sup>. "وفي الحديث أنّ ما يتفوه به الناس للأطفال

عند البكاء مثلا بكلمات هزلًا أو كذبًا بإعطاء شيءٍ أو بتخويفٍ من شيءٍ حرامٍّ داخلٍ في الكذب<sup>(66)</sup>. وفي ذلك دلالة قوية على دور القدوة في عملية التربية.

مما تقدّم يتضح أنّ أسلوبي الترغيب والقدوة الصالحة من أهم العوامل في التأثير في النفوس. فما أحدر أن يلتفت المربون إلى أن يعوا هذه الحقيقة، ويعطوا مزيدًا من الاهتمام لهاتين الطريقتين، وخصوصًا طريقة القدوة الصالحة استنادًا إلى كونها العماد في تقويم اعوجاج الطفل، بل هي الأساس في تخلقه بالصفات النبيلة والآداب العالية.

### المطلب الخامس: دور الأسرة في العملية التربوية

تعدّ الأسرة المحضن الأول لنمو الطفل. وهي تعدّ المؤثر الأكبر في تشكيل شخصيته. ولذا ناط بها الإسلام مسئولية تربية الأبناء منذ نعومة أظفارهم على تعاليم الدين. فالأسرة منوطة بتعليم الأبناء العقيدة الصحيحة، وتعليمهم العبادات، وأحكام الحلال والحرام، كما أنّها منوطة بغرس الفضائل، واجتثاث الرذائل من نفوسهم<sup>(67)</sup>. "فإذا لم يقيم المربي في البيت بمسؤوليته التربوية على الوجه الأكمل. فرمّا انخرق الولد في عقيدته، أو تمسّع في أخلاقه فعندئذ لا ينفع مع الولد توجيهه، ولا يُجدي في تقويم اعوجاجه إصلاح"<sup>(68)</sup>.

ويشير محمد البشير الإبراهيمي إلى أهمية دور الأسرة في التربية بقوله: "أيها المعلمون الكرام: إنّ البيت عند الأمم الحية هي أخت المدرسة. كلتاهما مكملتا للأخرى. فالتلميذ بينهما يتقلب بين عاملين من عوامل التثقيف والتهديب... إذا كان الأمر كذلك، فانظروا - يا رعاكم الله - أي عبء ألقته المقادير على كواهلكم، وأي واجب تؤدونه لدينكم ولغتككم وأمتكم، وأي عهد في أعناقكم يجب أن توفوا به لها"<sup>(69)</sup>.

فالإبراهيمي لا يلفت النظر إلى أهمية دور الأسرة في تربية الأبناء تربية إسلامية فحسب، بل ويؤكد على ضرورة أن يكون هذا الدور متكاملًا مع ما تقوم به المدرسة وغيرها من وسائط التربية أيضًا. فالأسرة تضع البذور وتتعدها بالنماء، وتواصل المدرسة تعهد هذا النماء - الذي بدأته الأسرة - نحو الغايات المرسومة. ولا يتوقف دور الأسرة بتولي المدرسة دورها في التربية، وإنما يمتد ليسانداً المدرسة ويعزّز سعيها لأداء رسالتها التربوية.

وتوكيد دور الأسرة في التربية الصالحة من هدي الإسلام. يقول الله تعالى حاكيا عن نبينا إسماعيل - عليه السلام -: ﴿وَأَوْفِرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا<sup>(70)</sup>؛ أي أنه - عليه السلام - "كان مثابرا على طاعة الله - عز وجل - آمرا بها أهله"<sup>(71)</sup>.

وقال الله تعالى أمرا نبيه (ﷺ): ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسَأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَزَّرْنَاكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾<sup>(72)</sup>. قال القرطبي: "قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾؛ أمره تعالى بأن يأمر أهله بالصلاة ويمثّلها معهم ويصطبر عليها ويلازمها. وهذا الخطاب للنبي (ﷺ) ويدخل في عمومه جميع أمته"<sup>(73)</sup>.

ويقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُولُوا لِنُفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُورًا النَّاسُ وَالْحِجَابَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ خِلَافٌ شِرَافٌ لَا يَعْصُونَ لِلَّهِ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾<sup>(74)</sup>. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: "قوله تعالى: ﴿قُولُوا لِنُفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ ... أدبهم وعلمهم ... قال الضحّاك ومقاتل: حقّ على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم، وما نهاهم عنه"<sup>(75)</sup>.

من ذلك تتضح أهمية الدور الذي تؤديه الأسرة في التربية والتنشئة الإسلامية للأبناء وأهمية أن يكون هذا الدور متكاملًا مع ما تقوم به المدرسة على النحو الذي يعزز ويساند كل منهما الآخر.

## خاتمة

استهدفت الدراسة الحالية تجلية الأفكار التربوية التي يتبناها محمد البشير الإبراهيمي في رسالته الموسومة بـ "مرشد المعلمين". وأسفرت الدراسة عن العديد من النتائج أبرزها الآتي:

**أولاً:** أنّ الإبراهيمي يرى أنّ الإنسان يولد بغرائز ناقصة يزيد بها الإهمال سوءاً إلا أنّ هذه الغرائز يمكن تعديلها بالتربية الحكيمة، وهو ما يستقيم مع التصور الإسلامي للطبيعة البشرية من أنّ الإنسان يولد ولديه استعداد للشر كما أن لديه استعداد للخير، وأنّ هذا الاستعداد للشر يمكن ترويضه بالتنشئة السليمة.

**ثانياً:** أن الإبراهيمي يرى ضرورة التركيز على الأهداف الإيمانية والخلقية للتربية مقارنة بغيرها من الأهداف لبناء الإنسان المسلم بناءً سليماً، وهو ما يستقيم مع التصور الإسلامي للأهداف التربوية.

**ثالثاً:** أن العلامة يرى ضرورة التركيز على الموضوعات المتصلة بالجانبين الإيماني والخلقي في المحتوى التعليمي، بل وتقديمهما على غيرهما من الموضوعات لتعزيز الأهداف الإيمانية والخلقية التي تضطلع بها التربية.

**رابعاً:** أن الإبراهيمي يرى ضرورة التركيز على طريقتي الترغيب والقدوة في التربية لأهميتهما في تقويم اعوجاج الطقل، وتطبيعها على الصفات النبيلة والآداب العالية.

**خامساً:** أن الشيخ يرى ضرورة ربط الأسرة بالمدرسة بما يعزز ويكمل دور كل منهما في تربية الأبناء تربية إسلامية.

بناءً على ما أسفرت عنه الدراسة من نتائج، توصي الدراسة الحالية المؤسسات التربوية عموماً، والمؤسسة التعليمية على وجه الخصوص بضرورة التركيز على الأهداف والموضوعات ذات الصبغة الإيمانية والخلقية. كما توصي هذه المؤسسات بتوجيه مزيد من الاهتمام إلى طريقتي الترغيب والقدوة والعمل على ربط الأسرة بالمدرسة بما يسهم في تعزيز التربية الإسلامية للأبناء.

### الهوامش والإحالات

- (1) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص111-116.
- (2) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ط1، ج2، ص2.
- (3) - سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، دط، المجلد الأول، ص153.
- (4) - سورة النحل، الآية 78.
- (5) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، ج4، ص506.
- (6) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ط1، ج2، ص5-6.

- (7) - سورة المعارج، الآيات 19-21.
- (8) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، ج8، ص240.
- (9) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج18، ص290.
- (10) - سميح عاطف الزين، معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، ص154-155.
- (11) - سورة المعارج، الآيات 22-23.
- (12) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج18، ص291.
- (13) - الشوكاني، فتح القدير، ط1، ج5، ص350.
- (14) - محمد قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ط10، ص338.
- (15) - المرجع نفسه والصفحة.
- (16) - سورة البلد، الآيات 8-10.
- (17) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج20، ص65.
- (18) - سورة الشمس، الآيات 7-8.
- (19) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج20، ص75.
- (20) - علي أحمد مذكور، مناهج التربية؛ أسسها، وتطبيقاتها، د.ط.، ص131-132.
- (21) - فؤاد محمد موسى، المناهج؛ مفهومها، أسسها، عناصرها، تنظيماتها، د. ط.، ص251.
- (22) - ماجد عرسان الكيلاني، أهداف التربية الإسلامية، ط2، ص21.
- (23) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص5-6.
- (24) - الدُّوْحَةُ: الشَّجَرَةُ الْعَظِيمَةُ مِنْ أَيْ شَجَرٍ كَانَ، والجمع: دَوْحٌ. يراجع: الرازي، مختار الصحاح ط5، باب: الدال، ص109.
- (25) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص5-6.
- (26) - سورة لقمان، الآية 13.
- (27) - سورة لقمان، الآيات 17-19.
- (28) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج11، ص63-72.
- (29) - رواه أبو داود في سننه من حديث سَبْرَةَ بن مَعْبِد الجُهَنِيِّ، وقال حديث حسن. يراجع الترمذي، سنن الترمذي، دط، ج1، كتاب: أبواب الصلاة، باب: ما جاء متى يؤمر الصبي بالصلاة، الحديث رقم (407)، ص526-527.

- (30) - الكشميري، العُرف الشذّي شرح سنن الترمذي، ط1، ج1، ص385.
- (31) - سورة القصص، الآيات 76-78.
- (32) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج13، ص309-316.
- (33) - ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، ط1، ص56.
- (34) - المرجع نفسه، ص55.
- (35) - علي أحمد مذكور، مناهج التربية؛ أسسها، وتطبيقاتها، د.ط.، ص205.
- (36) - المرجع نفسه، ص216-218.
- (37) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص1-2.
- (38) - المصدر نفسه، ص5-6.
- (39) - المصدر نفسه، ص5-6.
- (40) - سورة الذاريات، الآية 56.
- (41) - سورة البقرة، الآيتان 131-132.
- (42) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج2، ص136-137.
- (43) - سورة البقرة، الآية 133.
- (44) - الفخر الرازي، مفاتيح الغيب، ط3، ج4، ص64.
- (45) - المرجع نفسه، ص65.
- (46) - سورة طه، من الآية 123.
- (47) - فؤاد محمد موسى، المناهج؛ مفهومها، أسسها، عناصرها، تنظيماتها، دط، ص299.
- (48) - المرجع نفسه، ص299-300.
- (49) - خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ط1، ص391.
- (50) - المرجع نفسه، ص391.
- (51) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص3.
- (52) - خالد الحازمي، أصول التربية الإسلامية، ط1، ص391.
- (53) - المرجع نفسه، ص393.
- (54) - قوله تعالى: (إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا)؛ أي: موضع فوز ونجاة وخلاص من النار. يراجع: القرطبي الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج19، ص183.

- (55) - قوله تعالى: (وَلَوْلَا رَحْمَةُ رَبِّكَ لَأَفْتَبْنَا بِكَ مِنَ السَّمَاءِ نَارًا سَّاخِرَةً لَتَهْتَكُنَّ مِنَ النَّارِ عُوقُ بَنَاتِكَ وَيُلَقَّوْنَكَ مِنَ السَّمَاءِ حِجَابًا ذُرِّيَّتَكَ إِذْ نَبَّهتَهُمْ بِمَا فِي كُفْرِهِمْ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اللَّهِ الْعَالَمِينَ) (سورة النساء: 64) كواعب جمع كاعب، وهي الناهد. والأتراب جمع تَرَبُّب والأتراب: الأقران في السن. يراجع: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج19، ص183.
- (56) - قوله تعالى: (وَلَأَسْأَلُنَّهُنَّ: أَمِ كُنَّ يَاسِرَاتٍ لِّذُنَّ إِذْ يَبْسُوْنَ إِلَيْكَ فَذُكِّرْنَ بَعْدَ ذَلِكَ عُنَى) (سورة النور: 31) أي: كأسا ممتلئة. يراجع: القرطبي، الجامع، ط2، ج19، ص183.
- (57) - سورة النبأ، الآيات 31-36.
- (58) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، ج8، ص312.
- (59) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص4-7.
- (60) - عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط21، ج1، ص607.
- (61) - المرجع نفسه والصفحة.
- (62) - سورة الصف، الآيتان 2-4.
- (63) - سورة البقرة، الآية 44.
- (64) - الشوكاني، فتح القدير، ط1، ج1، ص92.
- (65) - رواه أبو داود في سننه، وحسنه الألباني. يراجع: أبو داود، سنن أبي داود، د. ط.، ج4 كتاب: الأدب، باب: في التشديد في الكذب، الحديث رقم (4991)، ص298، والألباني صحيح وضعيف سنن أبي داود، دط، ج1، ص2.
- (66) - الصديقي العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، ج13، ص229.
- (67) - القحطاني، الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ط1، ص130-131.
- (68) - عبد الله ناصح علوان، تربية الأولاد في الإسلام، ط21، ج1، ص941.
- (69) - محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، رسالة مرشد المعلمين، ص4.
- (70) - سورة مريم، الآيتان 54-55.
- (71) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، ج5، ص211-212.
- (72) - سورة طه، الآية 132.
- (73) - القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، ج11، ص263.
- (74) - سورة التحريم، الآية 6.
- (75) - ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ط1، ج8، ص189.

### مراجع الدراسة

- الألباني، محمد ناصر الدين، المتوفى سنة (1420هـ) (1421-2000م). صحيح الترغيب والترهيب - خطبة الحاجة التي كان الرسول (ﷺ) يعلمها أصحابه، ط1، الرياض: مكتبة المعارف.
- الألباني، محمد ناصر الدين، المتوفى سنة (1420هـ). (د.ت). صحيح وضعيف سنن أبي داود د.ط، الإسكندرية، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سَورة بن موسى بن الضحاك، المتوفى سنة (279هـ) (1998م). سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، د.ط، بيروت، دار الغرب الإسلامي.
- خالد بن حامد الحازمي، (1420هـ - 2000م). أصول التربية الإسلامية، ط1، المدينة المنورة، دار عالم الكتب.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السَّجِسْتَانِي المتوفى سنة (275هـ). (د.ت). سنن أبي داود، د.ط، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد صيدا - بيروت، المكتبة العصرية.
- الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي، المتوفى سنة (666هـ). (1420هـ-1999م). مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت- صيدا، المكتبة العصرية - الدار النموذجية.
- سميح عاطف الزين، (1411هـ - 1991م). معرفة النفس الإنسانية في الكتاب والسنة، د.ط. بيروت، دار الكتاب اللبناني.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمنى، المتوفى سنة (1250هـ)، (1414هـ). فتح القدير، ط1، دمشق، دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب.
- الصديقي العظيم آبادي، محمد أشرف بن أمير بن علي، أبو عبد الرحمن شرف الحق المتوفى سنة (1329هـ). (1415هـ). عون المعبود شرح سنن أبي داود، ط2، بيروت، دار الكتب العلمية.
- عبد الله ناصح علوان، (1412هـ-1992م). تربية الأولاد في الإسلام، ط21، القاهرة، دار السلام.
- علي أحمد مدكور، (1421هـ-2001م). مناهج التربية؛ أسسها، وتطبيقاتها، د.ط، بيروت، دار الفكر العربي.

- الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، المتوفى سنة (606هـ). (1420هـ). مفاتيح الغيب، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
- فؤاد محمد موسى، (2002). المناهج؛ مفهومها، أسسها، عناصرها، تنظيماتها، د.ط، مصر المنصورة، د.ن.
- القحطاني، سعيد بن علي بن وهف، (1432هـ - 2011م). الهدى النبوي في تربية الأولاد في ضوء الكتاب والسنة، ط1، المملكة العربية السعودية، د.ن.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين، المتوفى سنة (671هـ). (1384هـ - 1964م). الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية.
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري الدمشقي، المتوفى (774هـ). (1419هـ). تفسير القرآن العظيم، ط1، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الكشميري، محمد أنور شاه بن معظم شاه الهندي، المتوفى سنة. (1425هـ - 2004م). الغرف الشذي شرح سنن الترمذي، تصحيح: محمود شاكر، ط1، بيروت، دار التراث العربي.
- ماجد عرسان الكيلاني، (1408هـ - 1988م). أهداف التربية الإسلامية، ط2، المدينة المنورة مكتبة دار التراث.
- ماجد عرسان الكيلاني، (1407هـ - 1987م). فلسفة التربية الإسلامية، ط1، بيروت، دار البشائر الإسلامية.
- محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، المتوفى سنة (1385هـ). آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي رسالة مرشد المعلمين، جمع وتقدم: أحمد طالب الإبراهيمي، ط1، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ص111-116.
- محمد قطب، (1414هـ - 1993م). دراسات في النفس الإنسانية، ط10، القاهرة، دار الشروق.